بعض المصطلحات الصّوفية

تمهيد:

أثرى الصّوفية معجمهم بكثير من الاصطلاحات ، عُني بجمعها عدد منهم ومن غيرهم في معاجم عرفت باسمهم. أذكر منها ما يجده القارئ في أدبهم ، ولا يفهمه ما لم تفهم هذه المصطلحات ، وقد اقتصرت على بعضها وللاستزادة يمكن الرجوع إلى بعض هذه المعاجم ، والمصادر[1].

1/ **الكشف** : وهو الاطّلاع على ما وراء الحجب من المعاني الغيبية وجودا أو شهودا . أو هو ما يلقى في النفس عند تجريدها من العوارض الشّهوانية وإقبالها بالقلوب على المطلوب . ويعني هذا أنّ الكشف هو العلم اليقيني الذي ينكشف فيه للصّوفي العلوم والمعارف انكشافا تامّا لا يبقى معه ريب. لذلك نرى أنّ بعض الصّوفية جاءوا بمعان جديدة للقرآن والسّنة والآثار ، وزعموا أنّهم يأخذون ذلك عن الله مباشرة وليس عن الموتى ، وقالوا إنّ علماء الشّرائع يأخذون ميتا عن ميت وهم يأخذون عن الحيّ الذي لا يموت .

---

[1] ينظر مثلا :

ـ أبو القاسم : الرسالة القشيرية

ـ عبد المنعم الحفني معجم مصطلحات الصوفية

ـ حسن الشرقاوي ، معجم ألفاظ الصوفية

ـ أيمن حمدي ، قاموس المصطلحات الصّوفية

2/ **وحدة الوجود** تنسب إلى محي الدين بن عربي الذي جعل الله والخلق شيئا واحدا . وتقوم هذه النظرية في مدلولها البسيط على أنّ كل الموجودات التي في الكون رغم كثرتها وتعدّدها شيء واحد هو الله سبحانه ، فالله يظهر ويتجلّى في صور متعددة . والمراد بها أيضا أنّ الله هو الحق وليس هناك موجود إلا موجود واحد هو الموجود المطلق وهو الله ، فليس غيره في الكون وأمّا العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الإلهية ، والعالم ليس له وجود في ذاته لأنّه صادر عن الله بالتّجلي .

3/ **الاتّحاد** : يعني أنّ الإنسان يتّحد بالله ، وفي حالة الاتّحاد قد يفقد الشّيء ذاتيته أو بعض أوصافها أو خصائصها ، وفيه تكون الذاتان أكثر تداخلا وأكثر قربا . وتنسب هذه النظرية لأبي يزيد البسطامي .

4/ **الحلول** ويعني أنّ الله تعالى في جميع أجزاء الكون في البحار والجبال والصّخور والأشجار والإنسان والحيوان مع بقاء عنصر كل من الطرفين الذين حلّ أحدهما في الأخر على حالته الأولى ، فمن زعم أنّ الإله حلّ في البقرة فإنّ البقرة مازالت بقرة وتؤدي وظائفها كما هي .

والفرق بين الحلول والاتّحاد ووحدة الوجود :

الحلول يعني وجود شيء داخل شيء أخر دون أن يفقد أحدهما طبيعته أو هويته أو ذاتيته أو ماهيته ، فتحلّ الذات الإلهية في الذات الإنسانية فيحل على تعبيرهم اللّاهوت في النّاسوت .

أما الاتّحاد فيكون أكثر قربا وامتزاجا وتداخلا ، وقد يفقد الشّيء الممتزج ذاته أو بعض صفاته وخصائصه .

أمّا وحدة الوجود فتعني أنّ الله هو الموجود وما سواه فناء ، وأنّ الأشياء في الأصل كلّها شيء واحد ، ولكنه قد يظهر بمظاهر متعددة ؛ فيظهر الله تعالى في صور الكائنات المتعددة.

5/ **المقام** : والمراد بالمقام المنزلة التي يقيم بها المتأدّب وهو ما يشتغل به العبد من الآداب العامة والمعاملات والمجاهدات في ظاهره وباطنه ، وشرطه ألا يرتقي إلى مقام أخر حتّى يستوفي ما هو فيه ، فإنّه من لا قناعة له لا يصح له التوكّل ، ومن لا توكّل له لا يصح له التّسليم ومن لا توبة له لا تصحّ له الإنابة ، ومن لا ورع له لا يصحّ له الزهد ..

6/**الحال** : وهو ما يرد على القلب من غير تصنّع ولا اجتلاب ولا اكتساب مثل طرب أو حزن أو بسط أو قبض أو شوق أو انزعاج ..

وقيل إنّ الحال تدوم ، وقيل إنّها عرضة للزوال والصّواب أنّها قابلة للزوال قبل زوالها تسمى حالا ، وعندما تزول تسمى واردا والوارد هو كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمد . فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب والأحوال تأتي من الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود.

7/ **القبض والبسط** : وهما حالتان تردان على العبد تقربان من الخوف والرجاء أو يسببهما الخوف والرجاء بمعنى أن العبد يرتقي من حال الخوف والرجاء إلى حال القبض والبسط . يقول الجنيد الخوف من الله يقبضني والرجاء منه يبسطني .

8/ **الفناء والبقاء** : الفناء هو سقوط الصّفات الذميمة ، والبقاء بروز الأوصاف المحمودة ، وهما متلازمان ؛ فمن فني عن شهوته بقي بإخلاصه وعبوديته ، ومن فني عن الدنيا بزهده فيها بقي بصدق إنابته ..

9/ **الغيبة والحضور** : الغيبة هي غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لانشغال الحس بما ورد عليه من تذكر ثواب أو عقاب . روي أنّ الربيع بن خيثم كان يذهب إلى ابن مسعود رضي الله عنه فرأى الحديدة المحماة في كير أحد الحدادين فغشي عليه ، فلما أفاق من غيبته سئل عن ذلك فقال تذكرت كون أهل النار في النار .

10/ **الشريعة والحقيقة** : الشّريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، فكل شريعة

غير مؤيدة بالحقيقة غير مقبولة ، وكلّ حقيقة غير مقيّدة بالشّريعة فغير محصولة . فالشّريعة جاءت بتكليف الخلق ، والحقيقة إنباء عن تعريف الحقّ . فالشّريعة أن تعبده ، والحقيقة أن تشهده ، فالشّريعة قيام بما أمر، والحقيقة شهود لما قضى وقدّر وأخفى وأظهر. ويقولون الشريعة مكاسب والحقيقة مواهب .

11/ **الصّحو والسّكر**: فالصّحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة ، والسّكر غيبة بوارد قوي ، والسّكر زيادة على الغيبة من وجه ، وذلك أنّ صاحب السّكر قد يكون مبسوطا إذا لم يكن مستوفيا في سكره ، وقد يسقط أخطار الأشياء عن قلبه في حال سكره ، وتلك حال المتساكر الّذي لم يستوفه الوارد ، فيكون للإحساس فيه مساغ وقد يقوى سكره حتّى يزيد

على الغيبة . فربما يكون صاحب السّكر أشدّ غيبة من صاحب الغيبة إذا قوى سكره ، وربّما يكون صاحب الغيبة أتمّ في الغيبة من صاحب السكر إذا كان متساكرا غير مستوف . والغيبة قد تكون للعبادة بما يغلب على قلوبهم من موجب الرغبة والرهبة ومقتضيات الخوف والرجاء . والسّكر لا يكون إلا لأصحاب المواجد ، فإذا كوشف العبد بنعت الجمال حصل السّكر، وطالب الروح ، وهام القلب وفي معناه أنشدوا:

12/ **الكرامات** : الكرامة هي خرق للعادة على غير ما أَلِف الناس . وهي بالنسبة للولي كالمعجزة للنبي ، فهي دليل صدق . ومن الكرامات التي عادة ما يتناقلها الصوفية وأتباعهم طي المكان أي الانتقال من مكان إلى أخر يبعد عنه بمسافات طويلة في وقت وجيز جدا فهو كلمح البصر . والمشي على الماء وظهور الشيء في غير موضعه أو وقته كالإتيان بفاكهة الصيف في الشتاء ...